يصوغه المثقفون والمفكرون في كل البلدان العربية:

مشروع «الوطن العربي الجديد» بدلا من الشرق الأوسط الجديد

هويدا طه*

■ ضجت رؤوسنا بهذا الشرق الأوسط الجديد! لكن المسألة هي أبعد وأخطر من مجرد (ضجيج)، فالشرق الأوسط (القديم) ليس هو ما يستحق الدفاع عنه باستماتة على كل حال!.. إنما هو ـ الإنسان العربي ـ الذي يجد نفسه الآن أمام عدة أسئلة ليس مطروحا بشأنها «رفاهية» التغاضي عن البحث على إجابات لها، ليس أول تلك الأسئلة ما هو ذلك الشرق الأوسط الجديد؟ وما هي خطورته ولماذا يأتينا من الخارج.. ولماذا يعارضه هؤلاء المفكرون والمثقفون من بيننا.. وما هو البديل وكيف نفرضه؟ بل.. ولماذا أصلا يجب أن يتغير ذلك القديم بذاك الجديد؟! وأخيرا.. هل باستطاعتنا ذلك أم أننا لم نعد نملك إلا الاستسلام.. وهل (الوقت) في صالحنا أم أننا حتى لو (أردنا) وحتى لو (أمكننا) فرض بديلنا فإن الوقت لن ينتظرنا.. أسئلة ربما ليس علينا فقط ـ في عالمنا العربي ـ البحث عن إجاباتها.. وإنما البحث حتى عن أدوات الإجابة الجديدة، بل والبحث عمن يضطلع بمهمة طرح الإجابة ومن يضطلع بمهمة تنفيذها.. إذا كان ذلك ممكنا..

الشرق الأوسط الجديد

هناك مقال دال بعنوان (الشرق الأوسط الجديد.. الحقيقي) نشر يوم 20 أغسطس في الواشنطن بوست وكاتبه يدعى آفشن مولافي وهو من مؤسسة أميركا الجديدة (نيو أميركا فاونديشن)، قال مولافي في مقاله: «إن شرقا أوسط جديدا بالفعل يولد كما قالت كونداليزا رايس.. ولكنه بعيد عن أجندة بوش الديمقراطية (بحسب ما يقول الكاتب) إنه انفجار استثماري بمئات المليارات من الدولارات على يد جيل جديد من مستثمرين عرب في منطقة الخليج ومصر والمغرب»، وقبل ذلك استهل الكاتب مقاله بتساؤل ساخر قائلا: «في الوقت الذي كانت تزداد فيه الحرب شراسة في لبنان.. ماذا كان يفعل عشرة ملايين سعودي؟ هل كانوا يتظاهرون للاحتجاج؟ لا.. هل كانوا يوقعون عريضة تطالب بوقف الحرب؟ لا.. هل كانوا يتجمعون لمقاطعة البضائع الأمريكية؟ لا أيضا.. إذن ماذا كانوا يفعلون.. كانوا يشترون الأسهم»! ثم راح يستعرض في مقاله بالأرقام عدة مشاريع اقتصادية تنشأ في دول الخليج ثم في مصر والمغرب والجزائر.. تؤسسها الحكومات الغنية في الخليج أو الأفراد الأغنياء هنا وهناك.. مئات المليارات من الدولارات العربية زحفت أيضا إلى باكستان والهند وماليزيا وإندونيسيا.. ثم اختتم الكاتب مقاله متسائلا: هل ما نشهده هناك (في الشرق الأوسط) هو نوع من النمو الاقتصادي أم مولد (صفوة) تصنع المزيد من المال؟ حتى هنا كان مقال مولافي وتساؤلاته.. أما تساؤلاتنا نحن هنا (في شرق أوسطنا!) فتختلف.. بل هي بالضرورة ستختلف..

هو الاقتصاد إذن.. هو المال، الذي يربط الغرب بالشرق.. ويربط الماضي الاستعماري بحاضر هو الآخر استعماري ومستقبل يبدو أكثر استعمارية وأشرس، هي الرأسمالية إذن.. التي تزداد توحشا وفتكا بملايين البشر.. من أجل أن يثرى ثم يثرى بها هؤلاء الذين وصفهم مولافي بقوله (صفوة) تصنع المزيد ثم المزيد من المال.. هذا هو الشرق الأوسط الجديد.. سوق كبيرة تملكها وتتحكم بها قلة هنا تابعة لقلة أخرى هناك! ولا هدف لها إلا تحويل تلك السوق إلى ماكينة تصنع لها المال، بينما أكثر من ثلاثمئة مليون إنسان (سكان العالم العربي) ليس عليهم إلا أن يكونوا وقودا لتلك الماكينة المخيفة.. الشرق الأوسط الجديد، وفي خدمة ذلك الهدف الأسمى (بالنسبة لهم) يتم تسخير السياسة والثقافة بل والعلم، إسرائيل أداة من أدوات السياسة.. الدعوة إلى دمقرطة الشعوب العربية وأنظمة حكمها أداة سياسية كذلك.. والإعلام وهز الثقة في الذات الحضارية للشعوب أدوات ثقافية.. تديين الصراع على الأرض والموارد أداة ثقافية كذلك.. والتكنولوجيا بكل صورها أداة علمية.. بدء بالقنابل والصواريخ وحتى وسائل الاتصال كذلك.. كلها أدوات تكثف قدراتها الفاعلة ـ باختصار ـ من أجل هذه السوق.. (بالطبع نفس اللعبة تجري في مناطق أخرى.. آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا.. كل حسب ما يناسبه من فعل، لكننا نهتم هنا جزئيا وإلى حين بمنطقتنا.. المنطقة العربية)، ولأن هذه السوق ستسحق حتما شعوب المنطقة.. فهي لا تصنع (تنمية من أجل الإنسان) وإنما (تبيع ذلك الإنسان وهما بل تبيعه هو ذاته) ولأن هذه السوق كي تنتعش تتطلب تشويه تلك الذات الحضارية لأبناء المنطقة العربية.. فإن هؤلاء المتقدين انتماءً.. للإنسانية عموما وشعوبهم خصوصا.. الذين ندعوهم (مثقفينا ومفكرينا) يعترضون على هذا الشرق الأوسط الجديد أو لنقل (تلك السوق الجديدة التي تبيع الناس وهما وتبيعهم هم ذاتهم).. لكنه اعتراض عاجز بغير أدوات إلا من الحدس أو (الإحساس بالخطر).. وبلا بديل إلا من نقد الهجوم والتغاضي في الوقت ذاته عن لاعقلانية أدوات الدفاع.. وبلا نصير قوي.. فالعالم كله مأخوذ ـ كل في مكانه ـ باندفاع الرغبة المحمومة والهجوم المالي بقيادة الشركات المتحدة الأمريكية والشركات الأخرى العابرة للقارات وأتباعهم المحليين.. بل هذا الاعتراض ـ المحق طبعا في رأي الكثيرين ـ لا يبدو (الوقت) في صالحه بالمرة.. فأمام هذا السيل المالي الذي تخدمه وسائل كلها فعالة.. لا يبدو أن (الانتظار) في صف هؤلاء المعترضين ومن خلفهم من شعوب لا حول لها ولا قوة.. إلا ربما التخبط والاقتتال فيما بينها على أرصفة تلك السوق.. فما الحل؟ هل انتهى التاريخ؟ هل قضي الأمر؟ هل نترك أنفسنا لنباع في تلك السوق؟! أم.. أم ندافع عن أنفسنا..

الوطن العربي الجديد

في كتابه (بين الثقافة والسياسة) قال الكاتب الجميل الراحل عبد الرحمن منيف (مؤلف روائية مدن الملح): «لقد انقضى قرن كامل ولا نزال ندور في دوامة خلقناها لأنفسنا، وجاء العدو الذي كان أوروبيا أول مرة ثم أمريكيا إسرائيليا بعد ذلك، لكي يدفعنا أكثر فأكثر للدوران الفارغ الأبله، دون أن نستطيع وضع العربة على السكة كما يقال»، كذلك لاحظ سعد الله ونوس الراحل أيضا في (هوامش ثقافية): «أولئك الرواد لو أطلوا من فوق حافة الزمن ونظروا إلينا لشعروا بالحزن مرتين، أولا لأن النهضة لا تزال تحتاج إلى نهضة، فنهضة على امتداد قرن كان الانكفاء فيها أكثر من محاولات النهوض، وثانيا لأن أحفادهم فقدوا المبادرة وتكوموا على هامش ثانوي كثير الضوضاء زهيد الفعالية»، مثقفونا إذن (يشعرون) بأن علة ما فينا وفي ثقافتنا وفي ذاتنا الحضارية ليست فقط تضعفنا أمام أعدائنا.. بل بسببها نفقد الطريق، وهذه (العلة) التي طالما بحثت عنها.. هاجسي الذي طالما دفعني للبحث عن مكمن (مصيبتنا).. ربما يكون أقرب تحديد لها أو له يجدر بنا تأمله هو ما وصف به المفكر الأمريكي غوندر فرانك (آلية الثقافة) في بعض المجتمعات عندما قال إن هناك ما يسمى (تطور التخلف)، لعله هو هذا.. تطور التخلف.. في ثقافتنا العربية، ضعفنا السياسي والاقتصادي والعلمي ربما يكون مرده أن (تخلفنا يطور نفسه!) يطور أدواته لإنجاز المزيد من التخلف! والمخرج من هذه الأزمة الحضارية هي أن نوقف تخلفنا عن تطوير نفسه، أما السؤال الأصعب دائما فهو: كيف؟! هذا ما قاربه الدكتور هشام غصيب في كتابه (تجديد العقل النهضوي) عندما طرح بجرأة الإجابة أو محاولة أولية للإجابة على هذه الكيف.. لا يتسع المجال هنا لسردها كاملة وإنما هي باختصار شديد: أن نكف عن التطلع إلى (حصد) نتائج الثورة العلمية التي حدثت في الغرب.. وجعلتهم إلى هذه الدرجة قادرين على إذلالنا بعلم وعقل منحهم القوة والقدرة وغذى فيهم طموح السيطرة، بل.. بل نتطلع إلى صنع ثورة علمية هنا في أوطاننا.. أن نمر في الطريق الشاقة التي مرت فيها أوروبا لا أن نقفز ـ إن نجحنا أصلا في القفز وهذا لن يحدث ـ إلى المحطة الأخيرة التي وصلوا إليها.. هذا يعني باختصار أنه حتى نتصدى لهذه السوق المسماة (الشرق الأوسط الجديد) ونطرح بدلا منها (مشروع الوطن العربي الجديد) لابد أن نبدأ من هنا.. من نقد ذاتنا الثقافية والحضارية بقسوة.. من التصدي لتخلفنا وقدرته الفريدة على تطوير نفسه.. مشروع الوطن العربي الجديد لابد أن يبدأ (ثقافيا) ثم ـ إن أسعفه الوقت ـ يعكس نفسه على السياسة والاقتصاد والنظم الاجتماعية..

أولا على المستوى السياسي: ليس ممكنا طرح مشروع نهضوي جديد في بلد وحده هنا، العالم كله ينظر إلينا باعتبارنا (كتلة العرب) وبالتالي أحد أركان مشروع الوطن العربي الجديد هو تجديد مفهوم (القومية العربية) لا من منطلق عاطفي أو رومانسي أو عرقي فهذا سخف تجاوزه الزمن، وإنما لأن الهجوم الرأسمالي يعتبرنا (سوقا واحدة) ونحن يجب أن نتصدى لبيعنا في تلك السوق.. بالجملة! وكذلك لأن تخلفنا الذي يطور نفسه باستمرار هو تخلف مترابطة أطرافه في كامل هذه المنطقة العربية.. وتفكيكه يحتاج إلى تصدي ثقافي بكامل منطقته.. والأدلة التاريخية واضحة.. فبينما كانت هناك (بوادر) مشروع نهضة عقلانية في مصر.

نشأت مملكة على الضفة الأخرى من البحر الأحمر ترعى وتنثر التخلف بكل أبعاده هنا وهناك حولها.. لن تنجح عقلنة للثقافة في مصر مثلا طالما هناك هذا المنبع الفياض للتخلف في الجوار، المشروع الذي يتصدى للتخلف الذي يطور نفسه لابد أن يشمل الجميع، مثال آخر.. لم تفلح جهود التصدي لإسرائيل في بلدان عربية أخرى لأن في الجوار المصري كان الاستسلام الذليل لإسرائيل ينثر مذلته هنا وهناك على الجميع، لابد إذن من مشروع (شامل) يعمل في كل المنطقة العربية.. أي لابد من تجديد مفهوم القومية العربية.. ولكن بأسس عقلانية جديدة

ثانيا على المستوى الاقتصادي: هذا هو جوهر اللعبة.. لعبة الشرق الأوسط الجديد.. لابد من مجابهته بمشروع الوطن العربي الجديد والذي يأتي (التصدي للرأسمالية) ركنا أساسيا فيه، هذه ربما من أصعب المهام.. لكن هناك قوى أخرى في العالم تتصدى أو تحاول أن تتصدى لهذه الرأسمالية الشرسة.. التي طورت أدوات العولمة لتنقذها من مأزقها النهم على حساب الشعوب.

لا يصح أن نستسلم لهذه الشراسة الرأسمالية التي تمنعنا بما لديها من أدوات علمية من محاولة النهوض والاعتماد على أنفسنا.. الحقيقة أنه حتى رفاهية الاستسلام ليست بأيدينا.. إلا إذا قررنا بيع مستقبل الأبناء والأحفاد والأوطان.. وهذه (عدمية) لا قبل لنا بها.. أما كيف التصدي للرأسمالية.. فإن مشروع (الوطن العربي الجديد) إذا ما تبلور فهو يعني أن (ثقافة الإنتاج والتعاون الحقيقي والاكتفاء الذاتي والحد من شره الاستهلاك) هي كلها أركان أساسية فيه..

ثالثا على مستوى النظم الاجتماعية: والتي تشمل نظم الحكم والعلاقات البينية بين الأقطار العربية المختلفة والعلاقة بين الأفراد في مجتمعاتها.. فإن هذه هي ربما البداية الحقيقية لمشروع الوطن العربي الجديد.. أن (نبتكر) في مشروعنا صياغة جديدة لمفهوم الديمقراطية.. ذلك المفهوم الذي جاء من أوروبا إلى بلادنا الغارقة في تخلف (يطور نفسه) فاستطاع في أعلى مراحل تطوره أن يشوه ذلك المفهوم الغريب علينا! نحن بحاجة أولا إلى خلق بيئة ثقافية جديدة (تنبع منها الحاجة) إلى الديمقراطية.. وليس استيرادها بمغلفات أنيقة لاستهلاكها في مجتمعات (طاعة أولي الأمر)! ونحن بحاجة إلى التخلص في مشروع الوطن العربي الجديد من (ثقافة الخرافة) والاتكال على غيب مبهم وصبغ الحاجات الدنيوية بالدين وتديين الصراعات الفردية والجماعية.

باختصار نحن في مشروع الوطن العربي الجديد بحاجة إلى علمنة وعقلنة طرائق التفكير وتحريرها من أفخاخ المطلقات والثوابت.. وفك أسرها من الارتهان إلى الأشياء المفارقة لعالمنا الموضوعي الذي نعيش فيه.. وهذا من شأنه أن يجعلنا (نفيق) إلى أن التخلص من النظم الديكتاتورية لن يكون بالبحث عن (ولي أمر آخر أجدر بالطاعة!) بل البحث عن (بناء مجتمع جديد) له رئيس يلتزم بقانون يصاغ هو الآخر من جديد ومؤسسات تخلق أو يعاد بناءها من جديد.. و(إنسان مواطن) يخلق من جديد.. هذه بالتأكيد مهمة ثقافية.. هذا مشروع للمستقبل، يحتاج إلى وقت؟

نعم، يحتاج إلى تجنيد ثقافي واسع .. نعم، لكنه ضروري.. وكل مثقفي ومفكري المنطقة العربية من أقصاها إلى أقصاها لابد أن يعملون عليه لبدء قرن جديد في النهضة العربية.. لا تكون فيه (مرات الانكفاء أكثر من محاولات النهوض) ولا يكون فيه أحفاد رواد النهضة الأوائل.. متهمين بغياب روح المبادرة في نفوسهم وحضور القدرة فقط على صنع الضوضاء زهيدة الفعالية.. كما لاحظ يائسا سعد الله ونوس، وبدون صياغة جديدة لمفاهيم القومية العربية والتصدي للرأسمالية وتفكيك التخلف.. سيكون مصيرنا لا محالة شرقا أوسط جديدا!.. أو سوق.. تباع فيها شعوب بأكملها.. بالجملة!

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

الدول العربية علّمت اسرائيل كيف تحتقر الفلسطينيين

محمد شركي*

■ من أخلاقيات الدول المحتلة عبر التاريخ الامعان في اهانة الشعوب من خلال محاولة اهانة قياداتها وهو ما عبر عنه الوحي على لسان ملكة سبأ بـ: (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون). ان الافساد في الأرض واهانة العزيز من أهلها دأب الطغاة، وشر الطغاة ما كان أصله خسيسا ضربت عليه الذلة وانحدرت به الى حضيض البهيمية فصار سليل القردة والخنازير.

ولعل الذي يحمل في دمه جينات الخسة بالفطرة لا يرتاح الا اذا نال من أهل العزة وأمعن في اهانتهم بقدر ما يحمل من خسة وذلة في أصوله وفروعه مما يعتبر عقدة ومركب نقص لا يفك لغزه الا الضالعون في علم نفس البشر من ذوي الأصول الحيوانية. ولما كان اليهود وقد لحقتهم اللعنة الالهية على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام من هذا الصنف (البشرحيواني) ـ اذا سلم تعبيري ـ فاننا لا نستغرب منهم المبالغة في البطش بأهل الأرض الأصليين تقتيلا وتدميرا وتهجيرا وأسرا، ولا نستغرب منهم بلوغ أقصى حدود القسوة الى درجة التفكير في اهانة الأمة الفلسطينية ومن خلالها الأمة العربية والاسلامية عن طريق محاولة الحاق الذلة بأعزاء الأمة ضمن مشروع الفساد المتأصل فيهم فطرة وجبلة.

ان أسر سادة القوم من وزراء ونواب فلسطينيين هو عبارة عن صفعة موجهة لكل عربي ولكل مسلم في هذا العالم. فاذا كان الوزراء والنواب في كل بقاع الدنيا يحظون بحصانة، فان العدو الاسرائيلي استباح حرمات نواب ووزراء فلسطين، وداس على حصانتهم وقدمهم عبر وسائل الاعلام في قيود وسلاسل أهل الاجرام أولى بها من سادة القوم.

ولقد مرت الحادثة كمرور كل الحوادث، وكنا ننتظر أن تثير سخط الأمة في درجة السخط الذي اندلع بمناسبة الرسوم المسيئة لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، ذلك أن الفلسطينيين الذين أهينوا انما حصل لهم ذلك لأنهم مسلمون موحدون ندبوا أنفسهم للدفاع عن مقدسات الأمة وعلى رأسها بيت المقدس حيث صلى المصطفى صلوات الله عليه بأنبياء الله الكرام وهي اشارة الهية واضحة للملكية الشرعية الاسلامية لبيت المقدس وأرضه. انهم لم يهانوا لأنهم مجرد رجال عاديين، وانما لأنهم عبارة عن رموز لها دلالات، والا فقد يؤسر الرجل فاذا ثبت عندهم أنه لا رمزية له أخلوا سبيله كما فعلوا مع أسرى بعلبك وهم عندنا شرفاء أعزاء ولكن العدو يحرص على الامعان في اهانتنا بالبحث عمن يحظى باحترامنا.

واذا ما كانت الاذية محتملة من أمة فاسدة مفسدة بشهادة الوحي كأمة اسرائيل ـ وخسارة فيها هذا الاسم المقدس ـ لأن اسم أمة القردة والخنازير أولى بها، فالذي لا يفهم هو مشاركة الدول العربية في اهانة سادة أرض الاسراء والمعراج، وهم سادتنا بحكم قدسية أرضهم.

وأول اهانة شجعت اليهود على الامعان في اهانتنا هو رفض هذه الدول العربية استقبال الوزراء والنواب الفلسطينيين، وكأنهم لم ينجحوا في انتخابات فرضت عليهم فرضا ولم يفوزوا بها خلافا لما كان يريد اليهود والأمريكان وعامة الغربيين، ودلالة ذلك أنهم أرادوا استبدال شعب الاباء بشعب الذل والهوان فجرت الريح بعكس ما تشتهي السفن فجاء العقاب في شكل اعتقالات مهينة تذكرنا بقول الجاهلي (بؤ بشسع نعل كليب) اذ أسر سادة فلسطين مقابل مجرد جندي يهودي وفي هذا ما فيه من الاهانة لكل أمة الاسلام عربيها وأعجميها. وما كانت اسرائيل لتقدم على هذا العمل لو أنها رأت وزراء ونواب فلسطين يحظون بالاحترام والتقدير في العواصم العربية والاسلامية، ويستقبلون بالبساط في المطار وبالأناشيد وبالتمر واللبن كما يفعل بعلية القوم.

والغريب أن تقدم الدول العربية على اهانة نفسها بنفسها أمام عدوها وهو جهل مركب فيها اذ لو فكرت قليلا لوجدت نفسها مستهدفة بالاهانة قبل قادة فلسطين، أما اذا كانت غير جاهلة وعلمها مركب فتلك الخيانة بعينها بل هي الدياثة التي لا تتحرك كرامة أصحابها عندما تنتهك الأعراض وقد لعن أصحابها على لسان نبي الاسلام عليه السلام. والى أن ينطق الكريم من أبناء هذه الأمة الأبية كما نطق أجداده:

قربا مربط النعامة مني   لا نبيع الرجال بيع النعال

نسأل الله تعالى لهذه الأمة عودا سريعا لعمر وخالد وصلاح الدين ومحمد الفاتح وغيرهم من رموز الاباء والعزة والكرامة التي لا وجود لأمتنا بدونها، ولعل أسد جنوب لبنان أعزه الله قد بين الفرق بين الرجال والنعال.

* كاتب من المغرب

كيف ننتصر بوضوح عسكري ونسقط بنذالة دبلوماسية؟

سليم دولة*

1 ـ يكاد الحزن يكون سُلاَليا والألم أيضا، اذ يقترن المعنى في حياتنا بالمحنة اقتران الشفَـــاه بالأسنان. هي الحرب اذن وضروس. الحرب امتحان للقوة بين طرفـــين أو أكثر.. وهي تعاقد سري أو ضمني يفترض أساسا وفي كل الحالات والأحوال منتصرا ومنكسرا، صامدا ومتخاذلا، مقبلا أو هاربا، خائفا أو متخاوفا، صديقا في الظاهر وعدوا في الباطن، رفيقا حقيقيا أو حليفا مكذوبا. ولا معنى للسلام الحقيقي في حالة اللاسلم واللاحرب.

الانسان كائن تحارب وتجارب ومقالب ومحن. في الحرب لاَ حياد اذن، ولست محايدا.

2 ـ خلافا للتصورات السائدة ثمة من الشعوب والمنظمات الحضارية في شكلها الرأسمالي الأقصى ـ وهو الوجه الآخر لما بعد حداثي للحرب ـ شعوب يرعبها السلام، حتى «سلام المقابر» يُرْعِبُهَا، أكثر مما تُرعبها الحروب الفاشلة، كما هو الشأن مع أمريكا واسَرائيل في العراق ولبنان هنا والآن. واذ هي تلك الأمريكا، واذ هي تلك الاسرائيل تخاف «السلام» لأنه اللحظة الفاضحة التي يتم فيها انهاك جميع القوى التي تتوعدنا بالسلم كما تتوعدنا بالحرب تماما. لا تمييز عندئذ بين المنتصر والمنكسر. فكيف ننتصر بوضوح عسكري ونسقط بنذالة دبلوماسية؟

فالى متى نملك القدرات الخلاقة (الثروات الطبيعية والطاقات البشرية) وتعوزنا المقدرة (ارادة الحرية والحياة).

3 ـ أنا مع جميع أشكال المقاومة للدفاع عن الوطن والأمة ذلك ألا معنى للحب وللحرب وللكرامة وللوطنية وكل متواليات الصفات الانسانية وحتى الحيوانية ونحن تحت الاحتلال ومشتقات الاحتلال.. مقامنا مقام الزوائل أو دون..

4 ـ في فعل الحرب، توأم فعل السياسة «كل الطرق تؤدي الى روما»، حتى تلك التي لا تؤدي يجب قسرا أن تؤدي، وهنا أصل فائض العنف والعنف المضاد، وأصل الفارق الضوئي بين «حروب المقاولات الامبريالية القصووية» و«حروب المقاومات الوطنية». الحرب تموقع لغوي أيضا..

أليس ذلك هو المصرح به امبرياليا من قبل أمريكا، اذ تتوسل بكل التعلات وتخلط بين الأسباب والمسببات والوسائل والغايات من أجل تجريد اللاأمريكيين كونيا وغير المتصهينين سلوكيا من تواريخهم ومن جغرافياتهم ومن قياداتهم الوطنية ومن حصون قيمهم الثقافية (بيروت حاضنة التنوير) والحضارية، تسهيلا لاختراقهم وسوقهم في اتجاه «البَمْرَكَة» المعممة (ديانة الايمان بالمطلق الأمريكي الوحيد الأوحد) تسويغا لتشتيتهم، للتفرد بهم واحدا.. واحدا بعجرفة نسقية.

5 ـ قال قائل ان هذه المقاومة تتم «باسم الدين». وأقول «أليس الدين زفرة المخلوق المضطهد»؟

«أليس الدين روح عالم لا روح له»؟

قال قائل هو قابل لشتى «التأويلات» و«التوظيفات» «للتزوير» و«التخدير».

وأقول كما للتحرير والتنوير. هي الحرب اذن عسكرة لكل الجبهات والجهات.

لا أرى في هذا الموقف غير حماقة تنبع عن غفلة معرفية أو تحامق سياسي، اذ أن أمريكا في صيغتها الامبريالية ذاتها لا تزيد عن كونها ديانة دنيوية مشوهة، حاضنة لجميع أشكال «الأصولية» والوصولية والتطرف الأحمق كما نتبين ذلك من موقف حكيم هارفارد فيلسوف صراع الحضارات «هنتنغتون» في كتابه الجديد: «من نحن»؟

6 ـ أنا مع المقاومة في تلويناتها المتعددة اذا تعرض الوطن أو الأمة للخطر، وهي وقائع وقائع واقعة. أنا مع المقاومة كيف ما كانت دينية العنوان، أو بعثية المذهب، أو ناصرية الأفق، أو جيفارية المدى؟ أو بورقيبية الهاجس، أو غاندية الروح. المهم عندي أن لا انصياع ولا استسلام لأعداء الأمة والوطن والحرية والسلام الحق.

7 ـ وما المجازر المكرورة الاسرائيلية ـ والمغفورة أمريكيا ـ بل المطبوخة أمريكيا، الا دليلا واضحا على مدى عفن وعنفية العقل الحربي الامبريالي الغزووي وتبذيره المفرط للعنف باسم أنبل القيم (العدل، الحرية، الديمقراطية وحقوق الانسان) محاربة مزعومة «للاستبداد الشرقي».. الى غير ذلك من المتواليات التبريرية والفزاعات الايديولوجية والبكاء المر على البيان العالمي لحقوق الحيوان. ألم يطالب «الاعلان العالمي لحقوق الحيوان» بضرورة صون كرامة الحيوان العامل مثلا، وان كان ولا بد من قتله أو ذبحه فليكن ذلك برفق ولين. ألم يصرح جورج بوش وفق عبارة موحية تصدر عن ذهنية أصولية متأصلة ومتنصلة من قيم الأصالة التنويرية الكونية وفق نبرة دينية تدعو الى الرثاء بعد السخرية. اذ يصرح حرفيا «لأول مرة أشعر بأن الله في البيت الأبيض» فهل أن الله لاجئ أمريكي من الاستبداد الشرقي؟ لنتخيل لو أن بن لادن قال: ان «الله في قندهار».

أو قال: حسن نصر الله «ان الله مع آل الجنوب في لبنان». سيتهم للتو بالجنون.

8 ـ سبق أن وصفت أمريكا «بالكُسْمُوفاجية» (أكلة الكون) منذ سنوات واسرائيل «بالانترُوبوفاجية» (أكلة الانسان)، بتواطؤ سري وعلني مع سلالة العربان من الحكام الرسميين رؤساء وملوكا وأمراء متآمرين. وليس صدفة أن تسمي اللغة العربية الأمراء بالآكلين والرعية بالمأكولين «فان كان موت لا أموت بغصتي، وان أقررت قبل الموت أنك قاتلي». كما قال الشاعر العربي في لحظة وعي محني.

9 ـ لكن أليس من الممكن أن نحول الهزائم التاريخية لدينا الى غنائم وذلك بفعل الاعتبار؟

ان أمة الاعتبار بالمعنى الخلدوني الذي يتحدث عن الحرب باعتبارها الضامن للأقوات زمن النوازل. فاذا كان المحارب القديم جعل قوته عند سن رمحه، فان المحارب اليوم جعل قوته عند الصواعق النووية وخراطيم الدبابات في استعمالاتها الامبريالية. مع المقاومة اذن كيف ما كانت.

10 ـ المطلوب منا امبرياليا، صهيونيا وأمريكيا ليس «سلام الشجعان» وانما استسلام الخرفان.

* كاتب من تونس

كلام يحاول افساد النصر

بطرس عنداري*

■ لقد حقق لبنان انتصاراً بطولياً ولن يتمكن اصحاب الخطب والكلام التافه المزايد من افساد هذا النصر.

نعم، بالآلام والدموع كشف لبنان عورات العرب واحرجهم امام العالم وليس امام ضمائرهم. واثبتت دموع فؤاد السنيورة صدق لبنان وابنائه وتفوقهم الوطني والاخلاقي على سائر اترابهم من احفاد عدنان.

اننا في زمن يصنع فيه تاريخ جديد ويشهد ولادات عنقائية لا يصدّقها حتى الشهود عليها. 22 دولة عربية قوامها 22 جيشاً نظامياً تعدادهم بالملايين يتفرجون على شاشات التلفزة ويقرأون في الصحف عن بضعة مئات او الوف من المقاتلين المجهولين الذين لا يرى سحناتهم احد وهم يقاتلون عدواً متوحشاً ويجابهون اعتى قوة تدميرية عرفتها البشرية. يتابعون الاحداث وكأنها اساطير توراتية من سفر الملوك او فصول من رواية المهلهل.

شعر بعض العرب ببقايا الحياء فاوفدوا وزراءهم الى نيويورك لاستجداء الرضى الامريكي بدلاً من ذهاب جميع ملوكهم ورؤسائهم وشيوخهم الى البيت الابيض ومطالبة سيده ـ سيدّهم ـ بوقف عدوانه ومجازره الجماعية. ولكنهم كما كانوا دائماً: يعتمدون استراتيجية لا حياد عنها وهي التضحية بكل القيم والمبادئ من اجل البقاء في السلطة وتوريثها للابناء والاحفاد.

لم يكن حامل صليب لبنان فؤاد السنيوره بحاجة الى تقديم الحجج والادلة على نقاوة عروبة لبنان حيث لا نعرف عروبة اصدق وانقى واكثر تضحية ونضجاً من عروبة لبنان حتى تلك العروبة التي ينعتها الغرائزيون بالانعزال والتقوقع.

لقد استعاد السنيوره بعض كرامة لبنان المهدورة يوم قال لرسولة بوش كوندوليزا: ابقي في اسرائيل ولا تأتي الى بيروت. وحبّذا لو تمكن السنيوره من تجاوز ارادة حوزته واقدم على طرد وولش وبيرنز وفيلتمن او اعتذر عن استقبالهم على الاقل. وهل هناك اكثر الماً على ربّ عائلة حين يضطرّ الى استقبال من انتهك عرضه وكرامته؟

* * *

ولكن النصر الباهظ الثمن تحقق وتراجعت اسرائيل مذهولة مشتتة بعد ان تيقنت بأن تدمير ما دمرته من عمران وارتكاب 36 مجزرة جماعية لم تحقق لها شيئاً ورأت اللبنانيين اكثر توحداً وايماناً بحق المقاومة.

ويريد اللبنانيون الآن صون هذا النصر والحفاظ عليه وبناء دولة عادلة، قوية متماسكة وهذا ما اجمع عليه اللبنانيون بما فيهم المقاومة وقادتها.

ونتمنى ان يتم بناء الدولة وقيامة لبنان الجديد بهدوء وبوقف المزايدات والكلام الذي لا يساعد على النهوض بلبنان.

لقد قيل كلام كثير والقيت خطب عديدة كنا نتمنى لو لم نسمعها. اننا نستثني ما قيل في امريكا واسرائيل لأنها اقوال المعتقدين وابطال الحرب المحيّرة. ولكننا كنا نتمنى لو صمت شيراك وسولانا وهاورد ومبارك ووليد المعلم وجميع مسؤولي ايران الذين يسيؤون للبنان في كل كلمة يتفوهون بها عن لبنان ومقاومته مع تقديرنا لدعمهم لهذه المقاومة.

اما آخر محاولة لاشعال النار والفتن الداخلية فأطلقها الرئيس بشار الاسد مستغلاً انعقاد مؤتمر الصحافيين العرب ليطلق الكلام الذي يدين نظامه ونهجه وتقاعسه. لسنا الذي يدين نظامه ونهجه وتقاعسه. ولسنا ندري الاسباب التي حملت الاسد على فتح الابواب المغلقة بدلاً من ارسال التبريكات والتهاني لجميع اللبنانيين على تحقيق انتصارين: الاول على الوحشية الصهيونية والثاني بتوحدهم ومشاركتهم لبعضهم بالآلام واقتسام الرغيف.

لا شك ان الرئيس السوري يدرك ان معركته خاسرة وحججه ضعيفة وواهية لأن من يرفض اعتماد المقاومة وممارستها لاسترجاع ارضه المسلوبة وحقه المغتصب لا يحق له ان يتغنّى بمقاومات اخرى ويتباهى بها. اما اذا كان يحلم بفتنة داخلية متكلاً على ما يعتبره طوابير خامسة داخل لبنان فهذا حلم بعيد المنال لأن الاكثرية الساحقة من اللبنانيين لم تعد على استعداد لتنفيذ مغامرات ومخططات الخارج، ومواقف قادة المقاومة هي البرهان الاكبر على ما نقول. ولعلّ اقصى ما يقدر عليه نظام الاسد هو استهداف افراد او مؤسسات بتفجيرات مخابراتية كما جرت العادة.

وكنا نتمنى لو جاءت ردود الفعل على خطاب الاسد اقلّ حدّة وعدائية وعلى طريقة الرئيس فؤاد السنيورة الذي يمثل قمّة التعقّل وتحمّل المسؤولية. ان لبنان لا يتحمل المجابهات وخاصة مع الجانب السوري القادر على ايذاء لبنان لكونه بوابته البرية الوحيدة.

والمؤسف هو ان سورية ونظامها شنا حملة غير منتظرة على لبنان الجريح المدمّر بدلاً من ان يهبوا لمساعدته في عملية اعادة الاعمار التي كان من المنتظر ان تكون سورية مستفيدة رئيسية منها. اما اذا كانت هناك بعض الاسباب المخفية لتفجير هذه الازمة مثل افتعال تفجير واسع لعرقلة مسيرة التحقيق باغتيال الرئيس الحريري فليس بوسعنا الولوج لمعالجة هذا الموضوع الشائك الذي نعتقد بأن نتائجه لن تكون ايجابية على سورية الاّ اذا كانت واشنطن ضالعة في لعبة تسميّها «الشرق الاوسط الجديد» محورها ايران والعراق وتقاسم النفوذ في المنطقة وتحاول سورية ان تخرج من ذلك المولد بأكبر قدر ممكن من «الحمّص».

وآخر كلام لبنان كنا نتمنى لو لم نسمعه هو الكلام الكثير الذي تفوه به رئيس الجمهورية وكلام بعض الوزراء الاستفزازي الذي قيل عن الاسراع في نزع سلاح حزب الله فيما كانت اكثر من 200 جثة لشهداء تنتظر دفنها وكان ازيز طائرات العدوان يقاطع كلام هؤلاء الوزراء خلال اجتماعهم. ولكن كل هذا الكلام لن يفسد المعنى الحقيقي للنصر.

* كاتب من لبنان

لعبة الحرب والمصالح الدولية

ميس دسوقي*

■ نشبت الحرب وانتهت واتضحت مواقف الدول، على اختلاف منابعها ومشاربها، فمنها من أشاد بالمقاومة ودعمها بمستويات مختلفة، ومنها من اخذ موقف المحايد والمنتظر لنتائجها، ومن الدول من استنكرها بشكل واضح، والبعض الآخر وصفها بأنها خطوات مغامرة غير محسوبة، وأخذ موقف الرافض (للمقاومة) بشكل واضح.

الا انه باختلاف المواقف لربما يجمعها عامل مشترك، وهو دافع هذا الموقف أو ذاك، والذي تمثل غالبا بالمكاسب والخسائر التي ستلحق بأنظمة الحكم كنتيجة للموقف الذي ارتضته لنفسها من الحرب. هذه المواقف اختلفت باختلاف نظرة كل دولة لركب الحراك السياسي الدولي كاملا، فدولة كايران فرضت نفسها كقوة عسكريه جديدة بمنطقة الشرق الأوسط ولها دورها في تحقيق الاستقرار في المنطقة أو الاخلال به، بتهديد اسرائيل عن طريق يدها القريبة منها والمتمثلة بتنظيم (حزب الله).

أما بالنسبة لدول أخرى كالأردن ومصر فقد أخذت موقفها وموقعها الطبيعيين في تلك الحرب على لبنان والمنسجم مع تاريخ هذه الانظمة التي لم تكن يوما على علاقة توافقية مع المقاومة، وبالانتقال الي سورية والتي أظهرت التأييد لحزب الله فقد صنفت بشكل اكثر وضوحا الآن بأنها دولة تساعد بامداد حركات المقاومة وبالتالي هي من الدول المساهمة أو الراعية للارهاب، وبالنتيجة يجب على الولايات المتحدة والدول الغربية أن تعيد حساب المعادلة بحيث تضاف سورية كطرف من أطراف المعادلة الجديدة للشرق الأوسط، الا انه رغم ذلك ربما ستكون سورية احد المستفيدين من خلفيات الحرب على لبنان بشكل أو بآخر وذلك يتضح من تصريح وزير الأمن الداخلي الاسرائيلي آفي ديشتر بقوله ان التنازل عن الجولان هو تنازل شرعي مقابل تحقيق الأمن والاستقرار لاسرائيل. وفي هذا اغراء للنظام السوري والذي لم يبن موقفه أصلا على انسجام فكري مع المقاومة، وانما التقاء مصالح في حالة الصدام مع الغرب، لكن يبقى المحدد الأساسي لذلك هو جدية اسرائيل في الانسحاب من الجولان.

أضف الى ذلك أن الحكومة اللبنانية لم يفتها استغلال الفرص لتحقيق بعض المصالح، وهذا ما يتضح من تصريح رئيس الوزراء اللبناني فؤاد السنيورة عندما قال بأن على اسرائيل أن تتصرف بحكمة، فربما ستقودنا هذه الحرب الى سلام في المنطقة، وهكذا تستتر وراء هذا التصريح رغبة الحكومة اللبنانية بعقد سلام مع اسرائيل وبناء علاقات معها تحقق لها نتائج بالمستقبل.

الا أن المستفيد الأكبر من هذه الحرب وتصاعد المواقف هو السعودية كنظام حكم، والذي رأى بأن مصالحه بدت مهددة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وان لم يكن ذلك واضحا تماماً حيث كان هناك حديث عن أن نظام الحكم في السعودية هو أصل للارهاب، ـ ولو أن هذا الحديث كان يدور في الأوساط الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية ـ واتهامها بعلاقة مباشرة مع الحركات المصنفة تحت بند ارهابية، وبالتالي القضاء على نظام الحكم السعودي سيخفف وتيرة الارهاب، وهكذا رأت السعودية بأن من مصلحتها أن تغير نظرة اللاعب الأكبر في السياسة الدولية وتحاول كسب رضى الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد أن التفتت السعودية الى التحالف الايراني ـ الأمريكي بالعراق، وهذا ما يهدد مصلحة السعودية كدولة سنية بالمنطقة رافضة لأن يسود المذهب الشيعي ويتفوق على المذهب السني والذي تترأسه السعودية في المنطقة.

وهكذا سعت السعودية لاظهار ملاحقتها لما تسميهم الولايات المتحدة الارهابيين كما رأت بأن الحرب على لبنان ستوفر لها فرصة سانحة لاظهار الولاء وكسب الرضى الأمريكي عن النظام السعودي، ومن الأيام التي ولّت أصبح المراقب يلحظ الحركة النشطة في الدور السعودي في المنطقة على أساس أنها الدولة الأكثر ثقلا في المنطقة ولربما ستسلب مصر لقبها ودورها العربي وتتحول الأضواء من مصر الى السعودية وهذا واضح بتراجع الدور المصري وسعيه للتحالف مع الأردن لتعزيز موقفه واسترجاع دوره الأكثر تأثيراً في المنطقة. وهنا تظهر السعودية كأنها الرابح الأكبر من الحرب.

اضافة للمكاسب على المستوى الدولي فان السعودية لديها الامكانيات لتجني الأرباح على المستوى العربي، فتدمير لبنان يعني الحاجة لاعماره، والسعودية هي الأوفر حظا لتنال الفرصة باعادة الاعمار عبر أموالها، وبهذا تكون السعودية قد حققت ما لم تكن تتوقعه، دوليا بموقفها المساند للغرب، وعربيا بأموالها.

وهكذا تسعى كل دولة لأن تخطف فرصتها لتحقيق مصالحها وتحول الحروب الأليمة الى وسيلة لكسب الأرباح بمستويات مختلفة، وربما يكون الاجتهاد في تحقيق المصالح والانطلاق في مركبة الأمان الدولي أمر متفهّم، الا أن الأسف أن هذه المركبة وقودها هذه المرة الدم العربي وليس نفطه.

* باحثة سياسية فلسطينية